



الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وتول أمننا، وأصلح عاقبة أمورنا.

أثارت المنطقة العازلة ببلبة بين الثوار كما لم يثر موضوع آخر، وحركت جدلاً واسعاً وخلافاً حاداً في الرأي لم يكن له أن يحسم.

وإنما يأتي الإرباك في هذه المسألة من الغموض الذي يكتنف كثيراً مما يجب أن يكون واضحاً أو مكتشوفاً، ومن الاختلاط في كثير من أوراقها، والتدخل في عناصرها، وتناقض مواقف الأطراف المعنية، وتعارض مصالحهم، فضلاً عن عدم امتلاك الثوار رؤية واحدة تجمعهم، ومعايير يحتمون إليها.

ولن يتتسنى الحكم السليم على المسألة من دون تجلية هذا الغموض، وفضلاً الاشتباك بين ما اختلف من أوراق، وتدخل من قضايا.

وستحاول هذه المقالة أن تناقش المسألة من عدة زوايا، وأن تبين الإشكالات الخفية والناصعة التي تواجه من يتصدر للقرار، بل كل من يحاول يتبني أو يدعم وجهة نظر معينة، مع تجلية العواقب المتوقعة، للخيارات المحتملة والسيناريوهات التي يرسمها اللاعبون.

ولا بد للقارئ من أن يتحلى بالصبر وبيعد النظر ليتسنى له تحصيل الفائدة مما يقال بعيداً عن تلمس إسقاطاته على جهة بعينها، فليس الهدف هو التصنيف، وإنما إرساء مبادئ عامة ومعايير يحتمون إليها بغض النظر عن الجهة التي تتبعها.

من هو الحليف؟

ترتبط على تحديد هوية الحليف الانقسامي الأساسي في مواقف الثوار من مسألة المنطقة العازلة؛

- فالثوار بمختلف اتجاهاتهم وفي أساس مواقفهم لا يرون بأساساً في التحالف مع الحكومة التركية المسلمة، أو مع تركية الدولة الصديقة للثورة السورية التي تم اختبارها في مراحل سابقة من الثورة.

- في حين أن أكثر الثوار يرون في أمريكا دولة كافرة معادية، تحارب الإسلام والمسلمين، وتحارب الثورة السورية على حد سواء. ويدركون خطر الدخول في تحالف بأي شكل من الأشكال مع الدولة الأمريكية أو مع تحالف دولي تقوده أمريكا.

دخول تركية في تحالف مع أمريكا من أجل تحقيق مصلحة مشتركة للأتراك وللثورة السورية هو ما خلط الأوراق وأربك الثوار وأدخلهم في حيرة وعدم قدرة على الحكم والتمييز.

مشروع المنطقة العازلة جاء بمبادرة تركية تحت مظلة التحالف الدولي الذي تقوده أمريكا، فاختلف الثوار في ذلك ما بين مؤيد ومعارض:

من عارض المشروع رأى أن أمريكا ستدخل عبر البوابة التركية إلى الأراضي المحررة، وستستغل نفوذها وقوتها للتدخل المباشر وتحقيق خططها التي عجزت عن تحقيقها سابقاً.

أما تركية فعلى الرغم من دعمها الذي لا ينكر للثورة السورية، فإنها في هذا المشروع تهتم بأمنها القومي بالدرجة الأولى، كما أنها لم تقدم للثوار ضمانات كافية للثوار فيما يتعلق بخطر التدخل الأمريكي، بل حاولت فرض إرادتها عليهم وتهديد من يعارض المشروع، كما فرضت إجراءات تصب في صالح التدخل الخارجي في النهاية، عندما استبعدت الفصائل الإسلامية من المنطقة العازلة.

أما من أيد المشروع التركي من الثوار فهم فتنان:

الفئة الأولى: تعتقد بأن أمريكا دولة معادية للثورة السورية ويجب مقاومتها، كما تستشعر خطر التدخل الأمريكي في المنطقة العازلة، وما في الدخول في التحالف الدولي من محاذير شرعية وسياسية. ولكنها في مقابل ذلك تبني مشروع المنطقة العازلة ثقةً بالحكومة التركية واعتماداً على التحالف معها، وعلى ما لها من ثقل عسكرياً ودبلوماسياً، وإيماناً بما في هذا المشروع من مصلحة للثورة. هذه الفئة وجدت أن تحالفها مع تركية أدخلها مرغمة في حلف ضممتها مع التحالف الدولي، فحاولت تبرير هذا الأمر بأنها تستخدم التقى السياسية لمقاومة أمريكا، وتحالف معها اضطراراً في الظاهر، وتعمل على تقويض مشروعها في الباطن. ولن تكون المقاومة مجدها ولن تتخل هذه النوايا الطيبة بالنجاح من دون خطة محكمة تقوم على وعي بالأمور وما لها، وعمل جاد للسيطرة على مفاصل السيطرة والتحكم.

الفئة الثانية: تطلق من مبدأ عدم استدعاء أمريكا، اعتقاداً بقوة أمريكا وهيمتها وعدم القدرة على مقاومتها، متجاهلة أن أمريكا تعادي الثورة والثوار فعلاً وأنها لا تحتاج إلى استدعاء. مشكلة هذه الفئة أنها تبني عقيدة انهزامية، وحتى لو آمنت بوجوب مقاومة الهيمنة الأمريكية فإنها لا تمتلك إرادة المقاومة لتلك الهيمنة. وهذه الفئة لا يمكن الاعتماد عليها ولا الوثوق بها، وستكون مطية للأعداء وورقة في أيديهم أرادت ذلك أم لم ترد. كما أنها تخضع خضوعاً أعمى للإملاءات التركية وغير التركية، بل لكل من يلوح بترغيب أو ترهيب.

ظاهرة التواكل المطلق على الحكومة التركية، والثقة المطلقة بها في مشروع المنطقة العازلة من دون مراجعة ولا تبيين كاف، ومن دون شروط أو الحصول على ضمانات كافية، والخضوع لإملاءاتها وأوامرها، ظاهرة كشفت عنها المنطقة العازلة

وسيكون لها عواقب غير محمودة. فاعتبار الثقة غير كاف وحده لاتخاذ قرار في هذه المسألة، لأن الحكومة التركية قد تخطئ، وقد تنظر للمصلحة من زاوية أنها القومي فقط، وتغفل عن مصالح حلفائها، لا سيما أنها تتعرض لضغط وتهديد، وتتصرف تحت إملاء رد الفعل، ولا سيما أن للمسألة تبعات وعواقب خطيرة لا يمكن التهاون بها. لن يكون الثوار بهذه العقلية حلفاء موثوقين، بل سيكونون مجرد أتباع مرتئين للأقوى.

تجسد الاضطراب في الرؤية، والتباطط في مواقف بعض الثوار في البيانات التي صدرت عنهم فيما يتعلق بالتبشير الشرعي لمسألة المنطقة العازلة وحكم الدخول في التحالف، فاعتمدت في ذلك على فتاوى عامة بجواز الاستعانة على البغاء بالكافر من دون تفصيل أو إسقاط دقيق لفتوى على واقع الحال، والتحقق من موافقتها له. حاولت تلك الفتوى أن توجد المبرر الشرعي للتحالف مع الكافر، متورطة في أحد أمرتين: تكير الحكومة التركية، وهذا ما لا تريده حتماً. أو البحث عن مبرر شرعي للدخول في التحالف الدولي الذي تقوده أمريكا. إذا لم يكن المقصود بتلك الفتوى التمهيد لتنازلات قادمة، فيمكننا أن نحسن الظن وأن نعتبر تلك الفتوى خطأ غير مقصود، وأنها صدرت عن اعتقاد خاطئ بأن قبول الثوار التحالف مع تركية يدخلهم اضطراراً في التحالف الدولي. وهذا غير صحيح، فالثوار يمتلكون القدرة السياسية لعزل موقفهم من الحكومة التركية عن موقفهم من التحالف الدولي الذي تدخل فيه تركية، وهم بذلك لا يحتاجون إلى مبررات شرعية لجواز التحالف مع الكافر أو الاستعانة به. بدلاً من الرضوخ لما بدا أمراً واقعاً، والخضوع لتضليل السياسة الدولية، كان على الثوار أن يفكوا هذا التحالف وأن يحددوا موقفهم من مكوناته، والأطراف التي يرون أنهم يقبلون التحالف معها. وكان يكفيهم أن يذكروا أنهم إنما يتحالفون مع الحكومة التركية المسلمة ويستعينون بها لقتال البغاء، لا سيما أن تركية تحركت لفرض المنطقة العازلة بمبادرة ذاتية ومن دون تدخل دولي في البداية. وهذا يغيب عن التورط في فتاوى مشبوهة تجعلهم على عتبات الانبطاح المجاني أمام الهيمنة الدولية، وإعلان الرضا الضمني أو العلني بالتدخل الخارجي، وهو ما يخالف مبادئ الثورة الأساسية، ويهدد مصير الثورة بعواقب وخيمة. فقد تبني الثوار منذ بداية الثورة موقفاً معارضًا للتدخل الخارجي، لأنهم أيقنوا أن التدخل الخارجي يعني استبدال نظام عميل بنظام عميل آخر، وما الثورة الليبية منهم ببعيد.

قوة الموقف السياسي هو القدرة على فرز الأطراف اللاعبة وتمييز العدو من الصديق، وتفكيك أي حلف يحاول أن يخلط الأوراق لتمرير مشاريع معادية، وإجباره على كشف أوراقه والجهر بعادوته.

وعلى كل حال فإن قبل الثوار المهادنة فإن أمريكا لن تقبل! التورط في تبني موقف واحد من التحالف الدولي، وبناء الموقف الشرعي على أساس جواز الاستعانة بالكافر، ساعد تنظيم الدولة على اكتساب المبررات الكافية لحشد جنوده لقتال الثوار على جبهة حلب الشمالية، وقد كان كثير من عناصر التنظيم يرفضون قبل ذلك المشاركة في المواجهات مع الثوار خشية التورط في دماء مسلمين - وهذه معلومات مؤكدة من داخل التنظيم - ولا سيما بعدما رأوه من مواقف مريبة صدرت عن التنظيم في الفترة الأخيرة.

من هو العدو؟ وأين تكمن المصلحة؟

دائماً، تحديد هوية العدو هو العنصر الأساسي الذي يساعد في توضيح الرؤية وامتلاك موقف صحيح. ففي مشروع المنطقة العازلة يتداخل الأعداء بالحلفاء، وهذا ما فرض الضبابية في الرؤية، والاضطراب في الموقف. وعند تصنيف الأعداء وتمييزهم من الحلفاء الحقيقيين، يمكن حينها تحديد الوجهة تحديداً سليماً تفاص على أساسه المصالح والمفاسد.

تركية الدولة الصديقة للثورة السورية، على الرغم من وقوفها إلى جانب الشعب السوري في ثورته، فإنها كانت ترفض التدخل العسكري لأي سبب من الأسباب، مع أن أعداءها حرصوا على توريطها في المستنقع السوري عبر محاولات كثيرة. فما الذي حركها اليوم؟ وجدت تركيا في مشروع الدولة الكردية على حدودها تهديداً خطيراً لأمنها القومي، وهو مبرر كاف يضمن لها التأييد الداخلي لأي تدخل عسكري في سوريا، وهو ما لم يكن متاحاً في الفترة السابقة. إذن عدو تركيا هو وحدات الحماية الكردية، وداعش مجرد ذريعة دولية وورقة تلعب بها تركيا كما يلعب بها بقية الأطراف الدوليين. فلم يسبق حصول صدام بين الطرفين، ولم يشكل تنظيم الدولة تهديداً لتركيا ولأمنها قبل الآن.

تحاول تركيا من خلال مشروع المنطقة العازلة أن تدق إسفيناً بين المناطق الكردية على حدودها، وأن تمنع التقاءها وتشكيل دولة كردية معادية لها على حدودها. لا تستطيع الحكومة التركية الاعتماد على الجيش التركي في عمليات برية، لأنها لا تضمن قيادات هذا الجيش، ولذلك وجدت في ثوار سوريا القوة البرية التي تعتمد عليها في تحرير المنطقة العازلة من وحدات الحماية الكردية وتنظيم الدولة، وستعمل على ضمان ولاء هذه المنطقة لها بعد التحرير عبر حلفائها من الثوار أو عبر من تجندتهم من أهل المنطقة. ستقدم تركيا للثوار الدعم الجوي في عمليات تحرير المنطقة العازلة، والرهان على هذه الضربات هل تكون فعالة فعلاً؟

وهل تركيا جادة في استهداف تنظيم الدولة جديتها في استهداف موقع الوحدات الكردية؟ نتائج العمليات الأخيرة على الأرض أثبتت غير ذلك!

الثوار:

يجد الثوار في مشروع المنطقة العازلة فرصة قد لا تتكرر للحصول على دعم جوي في قتال داعش، ولتوفير منطقة آمنة تشجع النازحين على العودة، وتكون أساساً لبنية اقتصادية مريحة تشجع التجار على الاستثمار في الداخل، ولا سيما إذا تكللت هذه المساعي باستعادة آبار النفط من داعش. يمثل تنظيم الدولة إلى جانب نظام الأسد أحد عدوين أساسيين للثورة السورية، ولأن أمريكا لم تتوافق على أن يغطي الدعم الجوي التركي المواجهات مع النظام السوري، لم تدخل حلب ضمن المنطقة الآمنة. ويمثل هذا الأمر مخاطرة كبيرة من الناحية العسكرية، إذ يعني أن يفتح الثوار معركة مؤجلة على جبهتين مع تنظيم الدولة ووحدات الحماية الكردية، على حساب معركة قائمة مع جيش الأسد في جبهات حلب!

ما يعني كذلك أن يتركوا ظهورهم مكشوفة وهم يتوجلون شرقاً باتجاه عدوين شرسين يصنفان على أنهما عملاء لنظام الأسد!! كما أنه يمثل من الجانب السياسي تنازلاً من قبل الأتراك والثوار الذين كانوا يشترطان استهداف تنظيم الدولة والأسد كليهما، وسيكون لهذا التنازل انعكاس خطير وتأثيرات سلبية على معارك الثوار مع النظام السوري. ولهذا فإنه سيكون مغامرة خطيرة جداً، واحتلالاً في ميزان قوى الثوار، وفي انتشارهم أن يتورطوا في مواجهات مع تنظيم الدولة، من دون ضمان دعم مواز في جبهات الثوار مع نظام الأسد في حلب!! يستشعر الثوار خطر داعش الذي يهددهم ويمكن أن ينقض عليهم في أية لحظة، وإنهم إذ يندفعون إلى القبول بمشروع المنطقة العازلة تحت إغراء التخلص من تهديد تنظيم الدولة الدائم، يظنون واهمين أن الدعم الجوي سيضمن لهم معارك سهلة وسريعة مع داعش، بيد أن المواجهات الميدانية التي خاضوها خلال الأيام القليلة الماضية في ريف حلب الشمالي مع التنظيم كشفت لهم شراسة المعركة، وخطورتها، وعدم نجاعة الدعم الجوي، لقد أعادتهم من أحلامهم الوردية إلى الواقع وأثبتت لهم أن مشروع المنطقة العازلة لم يكن فرصة كما كانوا يتوقعون!

وراء ذلك كله تقف أمريكا تحاول الإمساك بكل الخيوط، تضع كل ثقلها وتحرك دُمها لـإجهاض الثورة السورية، وإسقاط

أمريكا:

ينبغي الاعتقاد يقيناً بأن العدو الأساسي لأمريكا في هذه المنطقة هم الأتراك والثوار، أما داعش فهم مجرد ذريعة، ووحدات الحماية الكردية أصدقاء، ونظام الأسد خادم مطيع.

منذ بداية الثورة السورية عممت بعض الدول المعادية لتركية إلى ضرب استقرارها وتوريطها في الحرب السورية، بهدف إسقاط حكومة العدالة والتنمية التي حرصت على ضبط النفس وعدم التورط في الشأن السوري. وقد جاءت خطة الدولة الكردية على حدود تركية الجنوبية بجهود استخباراتية دولية، ودعم أمريكي مباشر لوحدات الحماية الكردية، من أجل وضع تركية بين نارين: جرها إلى التدخل المباشر في الشأن السوري، أو القبول بدولتين معاديتين؛ كردية وعلوية على حدودها الجنوبية. وبالتالي قطع طرق إمداد الثورة السورية. ولذلك فإنه لا يمكن تصور قبول أمريكا بالمنطقة العازلة إلا على سبيل تخريب المشروع أو استغلاله لتحقيق مصالحها المهددة لتركية وللثورة السورية. ومن يتخيّل أن بإمكانه مهادنة أمريكا وتجنب عداوتها فهو واهم، أما من يعيّ حقيقة الصراع، ويرغب في أن يدخل في صراع مباشر أو غير مباشر مع أمريكا، فعليه أن يمتلك إرادة المقاومة أولاً، وأن يعمل جاداً للسيطرة على مفاصل القوة المتاحة له لمقاومة مشاريع أمريكا وخططها العدوانية ثانياً.

عرفت أمريكا بعزم تركية على فرض منطقة عازلة منفردة، فسعت لابتزاز تركية تحت ضغط إحساسها بالخطر من أجل تحصيل مكاسب مجانية، ومن دون أي تغيير ملحوظ في مواقف أمريكا المعلنة، فحصلت على قاعدة إنجلريك التركية، وألزّمت تركية باستبعاد الفصائل الإسلامية، من دون أن توافق على أن تشمل الخطة المواجهات مع الأسد، ومن دون أن تغير موقفها المائع من وحدات الحماية الكردية!! في عينة بسيطة لما نتج عن الاتفاقية التركية الأمريكية في شأن المنطقة العازلة، حرك التحالف طائراته من قاعدة إنجلريك لضرب جيش الفتح في إدلب، بهدف إثارة رأي عام تركي معارض للاتفاقية، وكذلك من أجل زعزعة الثقة فيما بين الثوار والحكومة التركية التي سمحـت لطائرات التحالف باستهدافـهم من أراضـيها، وبالتالي تفكيـك مشروعـ المنطقة العازلة وإفشـالـه. في المقابل، ولأنـ أمريـكا لـيـسـتـ جـادـةـ فيـ استـهـدـافـ تنـظـيمـ الـدـوـلـةـ، ولـأنـ تركـيـةـ لاـ تـعـتـرـفـ تـنـظـيمـ الـدـوـلـةـ عـدـوـاـ مـباـشـرـاـ لـهـ أـسـبـابـ كـثـيرـاـ لـيـسـ مـنـ المـفـيدـ ذـكـرـهـاـ، لمـ يـجـدـ الثـوارـ مـنـ طـيـرانـ التـحـالـفـ الدـعـمـ الجـوـيـ الـكـافـيـ فيـ مـواجهـاتـهـمـ الـتـيـ خـاصـصـوـهـاـ مـعـ التـنـظـيمـ بـعـدـ اـتـفـاقـ المـنـطـقـةـ العـازـلـةـ، فـالـضـرـبـاتـ لـمـ تـكـنـ بـدـقـةـ وـلـأـ تـأـثـيرـ الـضـرـبـاتـ الـتـيـ سـانـدـتـ وـحدـاتـ الـحـمـاـيـةـ الـكـرـدـيـةـ، وـلـأـ بـدـقـةـ الـضـرـبـاتـ الـتـيـ وـجـهـتـ إـلـىـ جـيـشـ الفـتـحـ فيـ إـدـلـبـ!! وـبـدـلـاـ مـنـ أـنـ يـحـرـرـ الثـوارـ الـمـنـطـقـةـ الـعـازـلـةـ مـنـ التـنـظـيمـ، صـارـ التـنـظـيمـ عـلـىـ أـبـوـابـ مـدـيـنـةـ مـارـعـ بـوـاـبـةـ رـيفـ حـلـبـ الشـمـالـيـ! وـقـدـ تـزـامـنـتـ تـلـكـ الـمـعـارـكـ وـكـمـاـ هـوـ مـتـوقـعـ مـعـ مـحاـولـاتـ تـقـدـمـ لـجـيـشـ الأـسـدـ عـلـىـ جـبـهـاتـ مـدـيـنـةـ حـلـبـ الـبـعـيـدةـ، فـيـ سـيفـ الـدـوـلـةـ وـصـلـاحـ الـدـينـ! أـمـريـكاـ الـتـيـ لـنـ تـكـفـ عـنـ الـمـنـاـوـرـةـ لـتـقـويـضـ مـشـرـوـعـ الـمـنـطـقـةـ الـعـازـلـةـ وـابـتـزـازـ تـرـكـيـةـ بـهـ، تـعـلـنـ عـلـىـ لـسـانـ وـزـيـرـ خـارـجـيـتـهـ أـنـ لـأـ وـجـودـ لـمـنـطـقـةـ عـازـلـةـ أـوـ "ـآمـنـةـ"! حـلـفـ لـأـ ضـمـانـاتـ لـهـ، تـبـعـاتـهـ أـسـوـأـ مـنـ مـكـاسـبـهـ.

وإذا كانت أمريكا في حلّ من أية اتفاقية تبرمها، فأولى بالثوار أن يكونوا هم في حلّ من أي التزام لم يبرمـهـ معـ أمريـكاـ وـتـحـالـفـهـاـ، وـيـحـاـوـلـ بـعـضـ عـرـاـبـيـهـاـ أـنـ يـقـنـعـهـمـ بـأـنـهـ لـأـ خـيـارـ لـهـمـ إـلـاـ الـلـتـزـامـ وـالـخـضـوعـ! حـتـىـ فـيـمـاـ لـوـ نـجـحـتـ تـرـكـيـةـ فـيـ فـرـضـ الـمـنـطـقـةـ الـعـازـلـةـ، وـتـخـطـتـ كـلـ مـحـاـولـاتـ التـفـشـيلـ، فـسـيـكـونـ الـرـهـانـ عـلـىـ مـنـ يـسـتـطـعـ أـنـ يـفـرـضـ هـيـمـنـتـهـ عـلـىـ الـمـنـطـقـةـ الـعـازـلـةـ، هـلـ هـيـ تـرـكـيـةـ وـحـلـفـاؤـهـاـ، أـمـ أـمـريـكاـ وـأـذـنـابـهـاـ؟!

حاولت أمريكا منذ بداية الثورة السورية أن تستنسخ نموذج حفتر في سوريا، فعملت على تشكيل ودعم فصائل عسكرية موالية لها قادرة على فرض حكومة عميلة بقوة السلاح، وذلك تحت غطاء تدريب المعارضة المعتدلة، وقد فشل هذا المشروع مراراً، قبل أن يكتمل. المنطقة العازلة تحمل لأمريكا فرصة مواتية لتنفيذ هذا المخطط في حال تم الاتفاق مع تركية على السماح للقوات المعتدلة التي تتولى أمريكا تدريبها، بالدخول والمشاركة بحجة مواجهة داعش، بعد التأكيد من استبعاد الفصائل الإسلامية من المنطقة، وبالاعتماد على الائتلاف ليكون جهة سياسية شرعية تعلن المنطقة منطقة حكم ذاتي تحت سيادتها، ومعلوم ولاءات الائتلاف والنفوذ الدولي فيه. نجاح أمريكا في هذا المخطط يعني توسيع المساعي التركية لحماية أنها القومى، كما يعني ضربة خطيرة للثورة السورية وتهديداً لمصيرها.

فالدولة التركية ستجد على حدودها، بالإضافة إلى الطرفين الكردي والعلوي المعاديين، حكومة سورية موالية لأمريكا، وللدول المعادية لتركية.

يبدو أن تركية تلتف إلى هذا الخطر وتأخذه بعين الاعتبار، وأنها تحاول أن تؤسس قوى عسكرية وسياسية موالية لها في المنطقة؛ من الثوار ومن غيرهم. ولكن لا ندري مدى قدرة تركية على مقاومة الضغوط الأمريكية الرامية لفرض قوات عسكرية موالية لها في المنطقة، كما لا ندري قدرتها على تحقيق إصلاحات جذرية في الائتلاف السوري تطهره من التبعية والعملية للدول العظمى ليكون الخيار السياسي الذي يعتمد عليه؛ ولا ندري أساساً لم ينفي أن يكون الخيار هو هذا الائتلاف ضرورة وليس حكومة ثورية مؤسسة في الداخل؟!

أما الثورة السورية فيجب عليها أن تستعد لعدة سيناريوهات خطرة ستترتب على مقدمات خاطئة:

- قام مشروع المنطقة العازلة على مبدأ خطير حاولت تركية فرضه على الثورة السورية مسيرةً للمجتمع الدولي ومهادنة له، وذلك بفرز فصائل الثوار إلى فصائل إسلامية وغير إسلامية، أو فصائل إسلامية وجيش حر! وهي بادرة خطيرة ستعزز واقع الفرق، وتشتت قدرات الثوار، وتنفرد بكل خط على حدة لاستنزافه أو ضرب بعضه البعض.

- أية حكومة تنشأ في تلك المنطقة، وسواء كانت موالية لتركية أو لأمريكا، تقوم على أساس استبعاد الفصائل الإسلامية، ستؤدي إلى تكريس واقع جديد للتقسيم، إذ إنها ستشجع الفصائل الإسلامية على تأسيس حكومة وسط إسلامية، وقد ينتج عن هذا الواقع، وما يصاحبه عادة من طموحات للسيطرة، صدامات مستقبلية بين حكومتين تتنازعان الشرعية.

- إعلان الحكم الذاتي في المنطقة العازلة قد يحرض الحكومة الأردنية على إعلان منطقة "آمنة" تابعة لها في الجنوب، وذات حكم ذاتي، وسيزيد ذلك فرص التنازع والصراع، وفرض واقع التقسيم.

- عدم قدرة الحكومة التركية والثوار على ضبط مسألة السيطرة والتحكم في المنطقة العازلة، سيسمح لأمريكا بأن تقيم دولة "حفتر" في المنطقة، وتضمن لها الشرعية والاعتراف. أما الثوار الذين وجدوا في المنطقة العازلة فرصة لمنازعة الأسد في شرعنته، فسيكون عليهم أن يقبلوا أن يكونوا عمالء لأمريكا، أو أن تنازعهم الشرعية حكومة وليدة عميلة لأمريكا ومدعومة من قبلها!! فالمنطقة العازلة ليست ذلك الحلم الوردي يتحقق للسوريين كما حلا لبعض الثوار أن يصوّرها، وهي تحمل الكثير من المخاطر والتهديدات، وتمهد لسيناريوهات غير محمودة قد يتعلّق بها مصير الثورة السورية. ولذلك فليس أمام الثوار إلا أن يعيدوا مراجعة خطة المنطقة العازلة مع الحكومة التركية، ويناقشوا معها الشروط والضمانات التي يحتاجونها لبناء تحالف حقيقي مع تركية، يقوم على المصالح المشتركة، والمصير المشترك، لا على الإملاءات والتبوعية العمياء.

وذلك يتضمن ما يلي:

- ضمان دعم جوي حقيقي ومؤثر في معارك تحرير المنطقة العازلة.
- ألا تكون تلك العملية على حساب الجبهات مع الأسد، أو ضمان أن تشمل العملية الجبهات مع الأسد في مدينة حلب.
- عدم استبعاد الفصائل الإسلامية، أو إيجاد صيغة يتفق عليها لعدم استبعادها عملياً.
- ضمان عدم التدخل الأجنبي، وعدم السماح باستغلال المنطقة لإدخال قوات بحرية أو تمكين كتلة سياسية موالية للقوى العظمى.
- الثوار يتحالفون مع تركية، ولا يلزمون بالوقوع تحت بنود أي حلف تدخله تركية أو اتفاقية تعقدتها مع طرف ثالث، ولا تقع عليهم أية التزامات إلا باتفاق مسبق بين الطرفين.
- ضمان التفاهم بين الأتراك والثوار فيما يتعلق بإدارة المنطقة العازلة، وألا تفرض عليهم أية صيغة سياسية لا يقبل بها الطرفان، أو تتسرب بخلاف أو صدامات بين الثوار.

إذن، فمشروع المنطقة العازلة لا يمكن الإجابة عنه . كما يتوقع بعض القراء . بكلمة واحدة: حلال أو حرام، صحيح أو خاطئ.. لأنه موضوع تتدخل فيه اعتبارات كثيرة، ويختلف الحكم باختلافها، وتتغير النتائج بتغير المقدّمات، وسيكون الجواب الصحيح: هذا حلال إذا...، وحرام في حال...، وسيكون خاطئاً فيما لو.. وصحيحاً حين كذا... وهذه المتغيرات يجب أن تحكمها مبادئ أسياسية الالتزام بها هو الضامن الحقيقي للوعي السليم بالواقع، والحكم الصحيح عليه.

إستراتيجية المقاومة:

عقيدة المقاومة:

ما يجري في سوريا لا يمثل حرباً مع نظام الأسد، لو كان الأمر كذلك لحسمت الحرب من زمن، ولكنها حرب مع قوى عظمى تحمي أحد وكلائها في المنطقة إلى أن يتاح لها تأمين وكيل جديد قادر على إبقاء المنطقة خاضعة لهيمنتها، وضامنة لمصالحها. يحاول كثيرون إنكار هذه الحقيقة أو إغفالها اعتقاداً منهم بعدم القدرة على مقاومة هذه القوى العظمى، وعدم جدوى هذه المقاومة! الواقع أن هذه العقيدة الانهزامية هي مصدر قوة الدول العظمى، وهي السبب الأساسي لاستمرار الهيمنة. كل ما سبق لا قيمة له، ولن يكون ذا جدوى إذا لم تتسلح الشعوب الضعيفة بإرادة المقاومة، وتتبني عقيدة المقاومة إستراتيجية تعتمدها في نضالها لتحقيق أهدافها، وأن تعتقد بإمكان المقاومة وجودها، مهما كانت وسائلها، سواء كانت مباشرة، أو غير مباشرة.. لا فرق، المهم هو عدم الاستسلام لوهن التفوق، ونزع القناعة باستحالة المقاومة، وأن العدو قوة عظمى لا تفهـر وإرادته لا تردى!! إن امتلاك إرادة المقاومة هو ما يسمح للثوار بالمناورة، ويعـنـهم الفرصة للتصدي لمحاولات فرض بدـيل عـميل.

ويجب أن تستند خطة المقاومة المباشرة وغير المباشرة إلى أمرين:

- نفوس مقاومة غير منهزمة، وتمتلك الإيمان بالقدرة على المقاومة، والثبات على المبدأ، ويمكن الوثوق بها، والاعتماد عليها.
- قدرة على التحكم عن طريق العمل على السيطرة على مفاصل القوة، المادية والمعنوية، السلاح والأرض والرجال وموقع

ينبهر كثير من الثوار بأردوغان وحكومته، ويحاولون تقليده، وهم يجهلون أن قوة أردوغان وحزبه هي في امتلاك عقيدة المقاومة، ولو قلّ هؤلاء الثوار أردوغان في عقيدة المقاومة بدلاً من القشور التي يساير فيها ولا يتبنّاها لكان حالنا غير هذا الحال.

الابتزاز بالأمان:

بعض الفصائل أعمتها وعود الأمان في المنطقة العازلة فلم تعد ترى فيها غيره، وتجاهلت كل المخاطر المحتملة، والتهديدات المتوقعة التي تطال القضية عموماً في سبيل وعود أمان غير مضمونة. تقديم قيمة الأمان على القضية العادلة نفسه، أو جعله أولوية على حساب المبدأ، ظاهرة مستجدة في الثورة السورية بدأت تتغلب تحت شعارات الرفق بالأمة، واحتضان الشعب. وعلى ما في هذه الشعارات من إحساس بهم الناس، ووجع المستضعفين، وعدم استهانة بدماء الأبرياء، فإنها الثقافة التي حاولت الأنظمة العربية مع بداية الثورات أن تكرسها وتزوج لها، ثقافة أن الشعوب تهم لأمنها قبل كل شيء. كما أنها من ناحية شرعية ثقافة غير صحيحة، عبر عنها الكتاب والسنة، وذمّها في أكثر من موضع، فحين وصف الله تعالى بني إسرائيل قال فيهم: "ولتجدتهم أحقر الناس على حياة"، عندما تكون الحياة، أية حياة، مهما كانت صفتها، ومهما كان حالها هي هدف الأمة وغايتها، فإنها ستذلّ وتهان وتستبعد" ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، ولينذن في قلوبكم الوهن،.. حبّ الدنيا وكراهية الموت" كما جاء في الحديث الحسن. فالآمة التي تكره الموت لا تقبل التضحية، والتضحية أساس كل إنجاز أو استحقاق لتأييد رباني، "ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين". نعم، من واجب الثوار العمل على تأمين مناطق آمنة يحتمي بها المستضعون، ولكن ليس على حساب القضية التي هدد من أجلها هؤلاء في أنفسهم وأرزاهم، وليس على حساب آمال وطلعات ضحي كثير لأجلها بدمائهم، ولو كان إثمار الأمان صحيحاً، لكان رسول الله عليه الصلاة والسلام تنازل لقريش ما شاؤوا مقابل إنقاذ قومه من الهلاك حصاراً وجوعاً في الشعب. ولكنه لم يفعل فالإسلام يقدم حفظ الدين على حفظ النفس. التهديد الذي تواجهه الأمة الإسلامية اليوم في كل مكان، وفي ساحة الشام على التحديد، هو تهديد وجود تغدو فيه قضية الأمان ثانوية جداً على الرغم من أهميتها، فالعدو يتخد من الإبادة والقتل الممنهج خطة للإخضاع وكسر الإرادة، وقد فعل ذلك في العراق والصومال.. ولأجل ذلك يسمح للأسد بارتكاب المجازر تلو المجازر. ولا يمكن مقاومة هذه الإستراتيجية بالتهافت على وعود الأمان، وجعله أولوية.

خيارات الحكومة التركية:

خطر الدولة الكردية أجبر الحكومة التركية على الخروج من عزلتها عن الشأن السوري ونأيّها بالنفس إيثاراً لاستقرارها الداخلي، وفرض عليها مصيرًا مشتركاً مع الثورة السورية، جعلهما في خط دفاع واحد. فقد كشفت لهما الأحداث أن العدو لا يفرق بين أهل السنة مهما اختلفت مشاربهم، وأنه يشن حربه عليهم تحت مسمى "أمة واحدة" شاؤوا أم أبووا، اعترفوا بذلك أم لم يعترفوا. في المقابل، على أهل السنة أن يخوضوا تلك الحرب مجتمعين متحدي القوى، فعاصفة الحزم وما مثلته من حالة فريدة للتكتل السني، دقت ناقوس الخطر لدى الأعداء، وتحرك الضياع للقضاء على هذا التحالف وتفكيره وعدم السماح له بالاستمرار، وقد جاءت الدولة الكردية حلقة أولى في خطة التفكير تلك إشغالاً لتركية بنفسها، أما بقية دول الخليج فيمكن إشغالها بالهجمات الإرهابية الداخلية. على تركيا أن تعني دخولها هذه المرحلة من مراحل الصراع، وأنها لن تنجح في خوضه إلا بالاعتماد على ثوار الشام، فعدوهم واحد ومصيرهم واحد. أما تفكيرها بأن تخوض هذا الصراع على أساس الاستفادة من

الثوار لتأمين حدودها وضمان أمنها القومي، بمزيد من السواتر الإسمنتية فستكون له عوائق وخيمة، لأن الحكومة التركية لن تحقق الاستقرار الداخلي، وستزداد التهان في الاشتغال، وستخوض حرباً داخلية يتم الإعداد لها، وعليها من الآن أن تعد لمواجهتها جيداً، ليس بالاعتماد على منطقة عازلة، بل بخطة إستراتيجية ت نحو نحو تفكك أذناب الاستعمار في المنطقة، وتوسيع خطة المقاومة لتشمل دول المحور السنوي، ومناطق الثورات المجاورة؛ سوريا، والعراق.

اللهم اهدنا رشدنا، وأيدنا ب توفيقك ونصرك، وافتح علينا إنك خير الفاتحين.

مركز رشد للدراسات والتدريب

المصادر: